- السنة: الأولى.

- التخصص: جدع مشترك.

- المقياس: فقه اللغة.

- محاضرة.

- المجموعة الثالثة(3).

- أ/د . موسى شروانة.

السداسي الثاني وحدة التعليم الأساسية	مادة فقه اللغة
مدخل: فقه اللغة(نشأة المصطلح، مفهومه)الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة والفلولوجيا	
نظريات نشأة اللغة الإنسانية: المحاكاة. التواضع والاصطلاح. الإلهام......	
اللغة العربية واللغات السامية، للغة العربية ولهجاتها.	
علاقة اللفظ باللفظ: 1- العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها.	
2- النبر في اللغة العربية.	
3- الأبنية والأوزان.	
علاقة اللفظ بالمعنى: 1- الترادف(أسبابه.اختلاف الدارسين حول وجوده	
2- المشترك اللفظي.	
3- التضاد.	
علاقة اللفظ بالاستعمال:1- الاشتقاق(مفهومه،أنواعه،العام،الكبير،الأكبر،الكبار"النحت	
2- الدخيل	
3- المعرب	
4- المولد في اللغة	
5- الإعراب وبناء الكلمة في العربية.	

في مصادر فقه اللغة ومراجعها:

أ- المصادر:

1- ابن جني(أبو الفتح عثمان):

- الخصائص.
- سر صناعة الإعراب.

2- ابن فارس(أحمد): الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها.

3- الثعالبي(أبو منصور): فقه اللغة وسر العربية.

4- السيوطي: (جلال الدين): المزهر في علوم اللغة وأنواعها.

5- سيبويه: الكتاب تحقيق عبد السلام هارون.

6- الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم.

7- ابن الأنباري(أبو بكر): كتاب الأضداد.

ب- المراجع:

1- عبد الواحد وافي:

- فقه اللغة.
- علم اللغة.

2- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة.

3- عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام.

4- محمود السعران: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي.

5- عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية.

6- إبراهيم أنيس:

- الأصوات اللغوية.
- دلالة الألفاظ.
- في اللهجات العربية.
- من أسرار اللغة.

7- أولمان ستيفن: دور الكلمة في اللغة.

8- أحمد محمد مدور: مدخل إلى فقه اللغة العربية.

9- محمد مصطفى رضوان: نظرات في فقه اللغة.

10- حاكم مالك العيبي: الترادف في اللغة.

11- أحمد مختار عمر:

- دراسة الصوت اللغوي.
- علم الدلالة.

12- مجدي إبراهيم محمد: بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين.

13- رمضان عبد الثواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي.

14- محمود فهمي حجازي:

- البحث اللغوي.
- علم اللغة العربية.
- علم اللغة العربية بين التراث والمناهج الحديثة.

15- تمـــــام حســـان:

- الأصول:دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب.
- اللغة بين المعيارية والوصفية.
- مناهج البحث في اللغة.

16- ماريو باي : أسس علم اللغة.

17- كمال بشر:

- دراسات في علم اللغة العام.
- علم اللغة العام: الأصوات.

18- زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري.

19- محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية.

20- محمد عبد الكريم الرد يني: فصول في علم اللغة العام.

- التأسيس المعرفي للمصطلحات الثلاثة في المدخل:

حرص واضعوا برنامج (فقه اللغة) على أن يخصصوا له مدخلا للتعريف بثلاثة مصطلحات هي:

- فقه اللغة.
- علم اللغة.
- الفيلولوجيا.

وقد أحسنوا صنعا بما قاموا به، ولو لم يفعلوا ذلك لجاء ناقصا ولأحتاج إلى إثرائه بإضافتها حتى يمكن تفادي هذا النقص فيه من الجانب العلمي والمعرفي. ومن المؤكد أن الحرص على وضع هذه المصطلحات في مدخل البرنامج لا يعود إلى تجنب النقص العلمي والمعرفي فيه، ولا إلى أن هذه المصطلحات الثلاثة أساسية فحسب في فهم المحتوى باعتبار المصطلحات في كل علم وفن هي مفاتيح للفهم، وإنما لأنها مثيرة كذلك للجدل لدى الدارسين. ولابد في هذه الحالة من التعريف بها ولو بقدر قليل لإزالة اللبس الذي يحيط بها حتى لا يختلط الأمر فيها على الدارس المبتدئ،وذلك بالنظر إلى تداخل مفاهيمها وتشابك مجال الاختصاص فيها، ولتوضيح هذه الجوانب سوف يأتي تناولها تباعا فيما يلي:

1- المفهوم اللغوي للمصطلح:

هذا المصطلح هو من فصيلة التركيبة الثنائية في المصطلحات عامة لأنه يتكون من كلمتين هما (فقه)و(اللغة)، فكلمة(فقه) من الفعل الثلاثي(فقه) بفتح الفاء وكسرها كما جاء في معاجم اللغة، وهي تعني(الفهم والعلم بالشيء) بصفة عامة.

ومنه جاء (الفقه) في علم الشريعة الإسلامية بمعنى دراسة أصول الدين وفهم مبادئه وتفاصيله.

ويبدو أن كلمة (الفقه) كانت أول الأمر مرتبطة بالشريعة ثم حصلت لها هجرة إلى مجال آخر هو مجال الدراسات اللغوية بعد إضافتها إلى كلمة(اللغة) ليصبح هذا التركيب الثنائي الجديد مصطلحا شائعا في الدراسات اللغوية بين مستخدميه .ومع أن هذا المصطلح قد شاع وصار رمزا متداولا فيما بينهم، فإن اختلافهم في مفهومه،وفي المجال الدقيق الذي يعالجه ظل قائما وبخاصة عندما صار محل مقارنة أو مفاضلة بينه وبين مصطلح آخر هو (علم اللغة) في العصر الحديث، وسوف يأتي توضيح مفهوم هذا المصطلح، وتحديد بعض المواقف منه في علاقته بغيره من المصطلحات اللغوية. وتكون البداية بالحديث عنه في القديم ثم الحديث.

أ- مفهومه الاصطلاحي في القديم:

عرف هذا المصطلح في التراث اللغوي الذي ظهر في نهاية القرن الرابع الهجري، وكان من المتوقع أن يظهر قبل هذا التاريخ؛ لأن الدراسات اللغوية كانت قائمة ومزدهرة. وبالرغم من تأخره الكثير في الظهور فقد كتب له الشيوع بين الدارسين من القدماء والمحدثين ولكن لا يوجد اتفاق فيما بينهم على مفهومه، ولا على موقف موحد منه كما أشرنا من قبل،غير أنه يوجد اتفاق على أن أحمد بن فارس(ت395هـ) هو أول من استخدمه، وقد جعله في عنوان كتابه الشهير:

"الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"

ولكي يفهم هذا العنوان كاملا، ومنه تحديد مفهوم المصطلح الوارد فيه، فإنه من الأهمية تفكيكه والوقوف عنده من الجوانب الآتية:

1- **كلمة(الصاحبي) يشير بها إلى الوزير الصاحب بن عباد، وكان صديقا له، ويحظى عنده بمكانة كبيرة، وتقديرا منه لهذا الوزير فقد أهداه كتابه ليضعه في خزانته كما أشار إلى ذلك بقوله:**

" إنما عنونته بهذا الاسم لأني لما ألفته أودعته خزانة(الصاحب الجليل... تجملا بذلك وتحسنا"

2- **مصطلح (فقه اللغة) الوارد في عنوان الكتاب هو جزء منه، ولا يشمل الجزء المتبقي بدليل أنه عطف بقية العنوان بقوله: " وسنن العرب في كلامها" ليفرق بين ما يشمله فقه اللغة في دراسة اللغة، وما يختص به الجزء الآخر، وما يتناوله (فقه اللغة) أطلق عليه(الأصل) كما في قوله:**

" وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئتها، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها.."

ويفهم من هذا الكلام أن فقه اللغة يتعلق بالجانب التاريخي وذلك بالبحث عن أوليتها ونشأتها وتطورها على غرار ما يحدث في دراسة أي كائن حي.

أما الجزء الآخر الذي أطلق عليه(الفرع) فهو يختص بدراسة الخصائص التعبيرية لهذه اللغة عند العرب وقد عبر عنه بقوله: " سنن العرب في كلامها" ويقصد به ما أجمله بقوله: " ومالها من الافتنان تحقيقا ومجازا".

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الجانب المتعلق بالخصائص التعبيرية استغرق القسم الأكبر من كتابه، وفيه عرض لمسائل نحوية وصرفية، وصوتية ودلالية، وبلاغية وما إلى ذلك منها على سبيل المثال أن العرب يعبرون بالحقيقة بمعنى استخدام

اللفظ فيما وضع له في الأصل، ويعبرون كذلك بالمجاز وهو استخدام اللفظ في غير ما وضع له إلى جانب المسائل الأخرى التي أشير إليها من قبل وهي كثيرة ومتنوعة لا يشملها الحصر.

وبناء على ما تقدم فإن دراسة اللغة عند ابن فارس تتضمن دراستها في قضاياها العامة، وهو ما أطلق عليه مصطلح(فقه اللغة). وتتضمن كذلك دراسة خصائصها التعبيرية وهو ما أطلق عليه " سنن العرب في كلامها".

ويقول إن الجانبين (الأصل والفرع) يتكاملان عند الدارس المقتدر لأنه بهما ومن خلالهما يمكنه أن يصل إلى الرتبة العليا في دراستها كما في قوله:

" وآخر جمع الأمرين معا، وهذه هي الرتبة العليا "

والغاية من دراسة اللغة في نظره-هي فهم القرآن والحديث النبوي الشريف، والعلم بهما معا كما في قوله: " لأنه لا يكاد يجد منه في كتاب الله شيئا فيحوج إلى علمه ويقل منه أيضا في ألفاظ رسول الله صلعهم، إذ كانت ألفاظه هي السهلة العذبة".

ولأبي منصور الثعالبي(ت 429هـ) إسهام ثان في هذا المصطلح حيث جعله عنوانا لكتابه: " فقه اللغة وسر العربية".

ويبدو أنه تأثر فيه بابن فارس، ولا عجب في هذا التأثر فقد كانا يعيشان في عصر واحد، والثقافة التي كانت سائدة كانت واحدة ومن الطبيعي أن يظهر مثل هذا التأثر في كتابات أحدهما، ويتلقفه الآخر، ولكن الأمر هنا لا يقف عند التشابه في استخدام المصطلح، وإنما في امتداده إلى محتوى الكتاب، فقد قسم كتابه إلى قسمين:

الأول وهو الأكبر في الحجم خصه بالحديث عن ألفاظ اللغة العربية وجعلها في ثلاثين بابا وتحت كل باب منها فصول.

فالباب الأول: على سبيل المثال جعله للألفاظ التي تنتظم تحت مجال أو حقل واحد متجانس ومترابط في معانيه، وهو يبدأ بكلمة (كل) ولذلك سمي (الكليات) ومن أمثلته:

- كل ما علاك وأظلك فهو سماء.

- كل أرض مستوية فهي صعيد.

- كل حاجز بين الشيئين فهو مُوْبِق.

- كل بناء مربع فهو كعبة.

- كل بناء عال فهو صرح.

الباب الثاني: جعله للألفاظ التي تدخل (في التنزيل والتمثيل) ومنه فصل جعله للإبل وفيه:

- البَكر: بمنزلة الفتى.

- والقلوص: بمنزلة الجارية.

- والجمل: بمنزلة الرجل.

- والناقة: بمنزلة المرأة.

- البعير: بمنزلة الإنسان.

وفصل آخر جعله للبكاء وفيه:

- إذا تهيأ الرجل للبكاء قيل أجهش.

- فإن امتلأت عينه دموعا، قيل اغرورقت، وترقرقت.

- فإذا سالت قيل دمعت وهمعت.

وهكذا، وهو جانب معجمي لأنه يتعلق بجمع الألفاظ وتصنيفها وفق نسق معين ثم محاولة تحديد معانيها.

أما القسم الثاني فقد جعله للحديث عن الخصائص التعبيرية للغة العربية، وقد عبر عن هذا بقوله: " سر العربية " وهو اختصار لما عبر عنه ابن فارس من قبل في عنوان كتابه: " وسنن العرب في كلامها " ومن الأمثلة التي أوردها على هذه الخصائص قوله:

- فصل في الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو مستقبل وبلفظ المستقبل وهو ماض.

- قال الله عز ذكره: أتى أمر الله؛ أي يأتي.

- قال جل ذكره: " فلا صدَّق ولا صَلَّى " أي لم يصدق ولم يصل.

- وقال عز من قائل في ذكر الماضي بلفظ المستقبل وفي القرآن " وكان الله غفورا رحيما " أي كان ويكون وهو كائن الآن، جل ثناؤه.

وفصل في المفعول يأتي بلفظ الفاعل.

- تقول العرب: سر كاتم: أي مكتوم.

- ومكان عامر أي معمور.

- قال تعالى: " خلق من دافق" أي مدفوق.

وهذا هو الجانب الذي يلتقي فيه مع ابن فارس ولكنه يختلف معه في الجانب الذي يتعلق بمعجم الألفاظ كما أشرنا من قبل.

ومن هذا يتضح لنا أن دراسة اللغة العربية عند الثعالبي تتناول جانبها المعجمي، إلى جانب دراسة خصائصها التعبيرية، وكأنه يريد بهذا أن يقول إن فهم اللغة والإلمام بها يشمل الجانبين معا. والغاية منهما هي فهم القرآن الكريم على نحو ما فعل ابن فارس.

ويبدو أن الاستخدام المتكرر لهذا المصطلح قد جعله يترسخ أكثر، ويأخذ طريقه إلى عدد من المهتمين بالدراسات اللغوية في القديم والحديث كما أشرنا من قبل. ففي القديم وجدنا جلال الدين السيوطي(ت 911هـ) يستخدمه في كتابه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) جامعا فيه بين مفهومه عند ابن فارس، والثعالبي، ولم ينحرف به عما جاء عندهما؛ لأن السيوطي عرف عنه أنه كان جامعا للعلوم ومنسقا للمعارف ومنها علوم اللغة وأنواعها ولم يكن مبتكرا.

ب- المصطلح في الحديث:

أما في الحديث فقد شاع هذا المصطلح أكثر بين الدارسين ومن يلقي نظرة على الكتابات التي تحمل عنوان (فقه اللغة)، فإنه يجد هناك انقساما فيما بينهم في هذا الاستخدام ويمكن الإشارة هنا إلى صنفين منهم:

الأول حاول أن يجعله عاما يشمل دراسة اللغة من جوانبها المختلفة، ومن الشواهد على هذا الاستخدام أن محتوى البرنامج يشتمل على الجانب التاريخي للغة وذلك بمعرفة أصل اللغة العربية ونشأتها وتطورها في علاقاتها باللغات السامية وكذلك باللهجات إلى جانب التعرض إلى الخصائص التعبيرية التي تتميز بها.

الثاني يميل فيه إلى (تسويته) بمصطلح (علم اللغة) وهو بهذا التسوية يجعله مرادفا له ومن هؤلاء عبد الواحد وفي كتابه(فقه اللغة) حيث صرح في مقدمته بأنه سيقصر كتابه بالحديث عن(فقه اللغة) بالمفهوم القديم ولكنه خرج عما وعد به في المقدمة وجعله يتناول قضايا أخرى لم يتناولها العرب القدماء كما أشار إلى ذلك أحمد محمد قدور بقوله:

" والدليل على عدم التزامه أن العنوان(فقه اللغة) ليس فقه اللغة العربية، وأن قسما كبيرا من بحوث الكتاب يدور حول اللغات السامية وخصائصها".

وكذلك الأمر عند: صبحي الصالح في كتابه: (دراسات في فقه اللغة) وعند محمد المبارك في كتابه (فقه اللغة).

فصبحي الصالح صرح في كتابه بأنه يفضل مصطلح (فقه اللغة) على (علم اللغة) لأن الأول يفي في نظره بالغرض ولا حاجة له بالثاني، مستدلا على ذلك بأن كل علم لشيء فهو فقه، كما في قوله:

" وأنه ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة شيئا، وأن يعمموها على جميع البحوث اللغوية لأن كل عم لشيء فهو فقه فما أجدر هذه الدراسات جميعا أن تسمى فقها".

أما محمد المبارك فيرى أنه لا يوجد فرق بين (فقه اللغة)، و(علم اللغة)، وهو بهذا يسوي بينهما في الدلالة كما في قوله:

" إن علم اللغة بهذا المفهوم الذي بسطناه والذي آل إليه الأمر في تطور البحث اللغوي نرى أن نطلق عليه أحد الاسمين(علم اللغة) أو (فقه اللغة) وكلاهما يفيد المقصود وينطبق على المفهوم العلمي لمباحث اللغة".

وقد كانت تقف وراء هذا الاستخدام رغبة في تفضيل مصطلح(فقه اللغة) على مصطلح (علم اللغة) الحديث؛لأن المصطلح القديم يفي بالغرض ولا حاجة لاستبداله بمصطلح حديث،غير أن بعض الدارسين المعاصرين عارضوا هذا الاستخدام من وجوه عديدة ورفضوا التسوية بين المصطلحين، ويعد عبد الصبور شاهين واحدا من هؤلاء المعترضين حيث عبر عن هذا الاعتراض بقوله:

"فإن هناك فرقا بين مفهوم المصطلحين في الثقافة القديمة والحديثة، وهو فرق ينبغي أن يراعى عند استعمال أيهما نظرا إلى أن أغلب ما بأيدينا الآن من الكتب التي تحمل عنوان فقه اللغة أو علم اللغة إنما يجري على الاستعمال الحديث وهو اعتبار العنوان الأول خاصا بدراسة اللغة العربية وخصائصها على حين يستخدم الثاني استخداما شاملا في كل ما يتصل بالعربية وغيرها من اللغات من فصيلتها أو من غيرها".

ولعل أهم ما يوضح الفرق بينهما إضافة إلى ما ذكر هو أن فقه اللغة ارتبط بالقرآن وبالعلوم اللغوية التي تسهل عملية فهمه، والوقوف على أسرار الإعجاز فيه. وكذلك ارتباطه بالحديث النبوي الشريف. أما علم اللغة الحديث فهو يدرس اللغة في ذاتها ولذاتها وليس لغاية أخرى، والاختلاف يكمن في الغاية وفي المنهج.

2- مصطلح علم اللغة:

مرت دراسة اللغة أي لغة بمراحل تاريخية عديدة عرفت خلالها مصطلحات منها مصطلح(فقه اللغة) كما سبق أن لاحظنا ذلك عند حديثنا عنه في القديم والحديث كما عرفت أيضا في تلك المراحل كثيرا من التوجهات والغايات ولكن مع نهاية القرن التاسع عشر أخذت دراستها منعرجا أخر تخلصت فيه من هذه التوجهات والغايات بإتباعها منهجا علميا دقيقا شأنها في ذلك العلوم التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ومنها العلوم الطبيعية، وكان لا بد لذلك أن يظهر المصطلح الذي يعكس هذا التوجه العلمي الدقيق،وكان مصطلح (علم اللغة) هو المصطلح المناسب للتعبير عن المنهج العلمي الجديد في دراستها. وقد اقترن ظهور هذا المصطلح بعلماء بارزين هم:

فرديناند دي سوسير: Ferdinand de Saussure في أوربا.

وبلومفيلد: Leonard Bloomfield

وإدوارد سابير:Edward sapire في أمريكا.

ولكن الفضل الكبير يرجع إلى العالم السويسري دي سوسير المتوفى سنة 1913 في ترسيخ ذلك المنهج في دراسة اللغة فحسب وذلك من خلال كتابه الشهير: " محاضرات في علم اللغة العام cours de linguistique générale ".

حيث أعلن فيه أن الموضوع الذي تعالجه اللغة هو اللغة ذاتها و تكون دراستها في ذاتها ولذاتها وهو يقصد بدراستها في ذاتها ولذاتها أن اللغة هي موضوع الدراسة، ولا ترتبط هذه اللغة بلغة معينة كالفرنسية والانجليزية أو العربية أو غيرها من اللغات وإنما اللغة كظاهرة اجتماعية إنسانية بصفة عامة وهي تظهر بصورة فعلية في أشكال لغات كثيرة ولهجات متعددة وصور مختلفة من صور الكلام كما أوضح محمود السعران في شرح مقولة دي سوسير.

هذا من حيث موضوعها أما من حيث الغاية فإن اللغة هي الغاية ولاشيء غيرها أي أنها لا تدرس كما يقول محمود السعران: لأغراض تربوية أو لأغراض عملية أخرى أو تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر".

وعليه فإن جهد الدارس لها يتركز في أنه يصفها ويحللها بطريقة موضوعية.

ومما تقدم تتضح لنا أربعة أمور مهمة في دراسة اللغة هي:

1- أن اللغة صارت موضوعا للدراسة.

2- أنها تدرس في ذاتها ولذاتها.

3- أن لها منهجا خاصا بها هو المنهج الوصفي.

4- أن التحليل هو آلية دراستها.

وإذا طبقنا هذا المنهج على الإنجازات التي تمت في دراسة اللغة العربية، فإن تلك الدراسة تبدو بعيدة عن هذا المنهج، وهو ما يجعلنا نؤكد ما سبقت الإشارة إليه من أن مصطلح (فقه اللغة) يختلف في مفهومه عن مصطلح (علم اللغة) الحديث، ومن ثم فلا يجوز تسويته به كما لا يجوز إطلاق مصطلح (علم اللغة) على الدراسات القديمة. وإذا حدث هذا فإنه يعد من قبيل الإسقاط، وهو إسقاط تصورات أو مفاهيم أو مناهج على شيء أو ظاهرة لا تتوفر فيها.

وعلى العموم فإن الدراسة العلمية للغة بالمنهج الذي سبقت الإشارة إليه تتناول المستويات الأربعة التالية:

- المستوى الصوتي.

- المستوى الصرفي.

- المستوى النحوي.

- المستوى الدلالي.

وهذه المستويات معروفة وشائعة في دراسة اللغة ولكن بعض الدارسين أضافوا إليها مستويات كما أن منهم من أنقص بعضا منها غير أن هذا لا يخل بمنهجها العلمي على النحو الذي تقدم.

ومهما كان الخلاف في هذه المستويات اللغوية فيما بين الدارسين للغة، فإن الأمر الذي لا خلاف عليه بين كثير منهم هو استخدامهم مصطلح(علم اللغة) بالمفهوم الذي عرضناه عند دي سوسير.

ومعظم الذين يأخذون بهذا المفهوم هم الذين اتصلوا بالثقافة الغربية وتعرفوا عن قرب على مصادرها اللغوية. ونذكر هنا على سبيل المثال:

- محمود السعران في كتابه:" مقدمة في علم اللغة".

- عبده الراجحي في دراساته العديدة منها كتابه" فقه اللغة في الكتب العربية".

- عبد الصبور شاهين في كتبه منها كتابه: " في علم اللغة العام".

- تمام حسان في العديد من كتبه منها:

- اللغة بين المعيارية والوصفية.

- مناهج البحث في اللغة.

- اللغة معناها ومبناها.

وغيرهم من الأجيال الجديدة التي تأخذ بالمفاهيم المعاصرة، وتحاول التقيد بالمصطلحات الدالة عليها.

وحين يستخدم هؤلاء مصطلح(فقه اللغة) فهم يستخدمونه بالمفهوم الذي سبق الحديث عنه ولا يخلطونه بغيره ولذلك وجدنا على سبيل المثال عبده الراجحي يستخدم (فقه اللغة) بما يحمله هذا المصطلح من مفهوم واضح ومحدد في كتابه (فقه اللغة في الكتب العربية) بل إنه حاول أن يوضح الفرق بين (علم اللغة)و(فقه اللغة) وينتقد بشدة عدم التفريق بين هذين المصطلحين من قبل بعض الدارسين العاصرين كما في قوله:

" عرفت الدراسات اللغوية في جامعاتنا مصطلح (فقه اللغة) ثم عرفت مصطلح (علم اللغة) ولم يسلم استعمال المصطلحين من خلط أدى إلى اضطراب في فهم كل علم وفي تحديد ميدانه؛ فرأينا من يكتب كتابا في (فقه اللغة)، وهو يعنى (علم اللغة).

3- الفيلولوجيا: philologie

من يراجع ما كتب حول هذا المصطلح في الدراسات العربية المعاصرة على الأقل، يجد أنه نال قدرا غير قليل من الاهتمام لدى الدارسين، والذين اهتموا به وحاولوا التعريف به ذكروا أنه مصطلح غربي، وهو مكون من لفظين هما (فيلوس fhilos)

ومن معانيها الحب أو الصداقة ومن (لوقوس LOGOS) ومعناها الكلام والمعنى الكلي له هو حب الكلام أو اللغة، ومن شأن هذا الحب أن يدفع الناس إلى فهمها (اللغة) أو العلم بها على وجه الإجمال.

لقد شاع هذا المصطلح في الدراسات اللغوية عند الغربيين قبل ظهور مصطلح (علم اللغة)، وهو يعني عندهم(فقه اللغة)، وهو بهذا المفهوم يقابل مصطلح (فقه اللغة) عند العرب القدماء والمعاصرين مع وجود فارق بينهما سيتضح فيما بعد.

ورغم ما يبدو على هذا المصطلح من الوضوح للوهلة الأولى، فإن التعمق في البحث في مفهومه، وفيما يشمله ويغطيه بالدراسة يكشف عن مدى ما يثيره من

خلاف بين الدارسين، وما ذكره الدكتور عبده الراجحي في كتابه: " فقه اللغة في الكتب العربية" هو بعض من هذا الخلاف، وهو يتمثل في الآتي:

1- فقه اللغة مرادف عند الانجليز للدراسة المقارنة بين اللغات.

2- هو عند آخرين يُعنى بدراسة حضارة معينة لأمة من الأمم.

3- هو عند الألمان يعنى بالدراسة العلمية للنصوص الأدبية القديمة.

على أنه ومهما كان من خلاف فإن هناك حدا أدنى من الاتفاق فيما بينهم وهو يتمثل في أن المصطلح في الأساس يعنى بدراسة (اللغات)، ولما كانت هذه اللغات مرتبطة في الأصل بالنصوص الأدبية، فإن دراسة هذه النصوص تستدعي النظر إليها من جوانب عديدة كما أشار إلى ذلك (ماريو باي Mario PEI) في كتابه (أسس علم اللغة) بقوله:

" أن موضوع (الفيلولوجيا) لا يختص بدراسة اللغات فقط، ولكن يجمع إلى ذلك دراسة تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والإنتاج الأدبي للغات، موضوع الدراسة".

ولعل ما أشار إليه الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه (علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة) يزيد من توضيح ميدان (الفيلولوجيا) حيث لخصه في جانبين ومنهما نتعرف أيضا على المراحل التي قطعها علم الفيلولوجيا في دراسة اللغات في علاقتها بالإنتاج الأدبي قبل ظهور (علم اللغة) في العصر الحديث، والجانبان هما:

1- دراسة لغة معينة بالتركيز فيها على تحليل نصوصها، ومحاولة نقدها ، وهذا الجانب عرفه اليونان والرومان حتى القرن التاسع عشر.

2- إعداد النصوص إعدادا علميا للنشر لإمكان الاستفادة منها في معرفة محتواها التاريخي أو الديني أو الحضاري أو معرفة الخط الذي كتبت به.

ومن الأمثلة التي ساقها في هذا الصدد لتوضيح ما سبق ذكره، وبخاصة فيما يتعلق بالفرق بينه وبين (علم اللغة) من ناحية المنهج والغاية لكل منهما، حيث قال:

" فتحقيق ديوان من الدواوين المخطوطة عمل فيلولوجي جليل يفيد البحث في أكثر من فروع المعرفة ولكنه عمل يخرج عن مجال علم اللغة والتحقيق العلمي لنصوص معناه ببساطة تقديم النص للقارئ والباحث الحديث على الصورة التي أراده بها مؤلفه أو أقرب ما يكون إلى هذه الصورة. أما الدراسة اللغوية للديوان

فتعني دراسة نص هذا الديوان في ظواهره الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، أي دراسة هذا النص في القطاعات الأربعة(يقصد مستويات التحليل) التي حدد بها الباحثون المحدثون علم اللغة".

ومن هذا نلاحظ أن الدراسة الفيلولوجية واسعة أو شاملة أما الدراسة وفق منهج(علم اللغة) فهي ضيقة ومحددة وهذا ما أدى بفرديناند دي سوسير إلى إخراج (علم اللغة) من مجالها التاريخي إلى المجال الوصفي بقوله " دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها" وتلك كانت ثورة في ميدان البحث اللغوي في العصر الحديث.

وخلاصة ما تقدم أن الفيلولوجيا بمعنى (فقه اللغة) تلتقي مع (علم اللغة) من حيث إنه يتناول جميع اللغات أما من ناحية المنهج والغاية، فإن (علم اللغة) يدرس اللغة في ذاتها ولذاتها دراسة وصفية تحليلية، ولا شأن له بالمجالات التي عرضناها من قبل.أما الفيلولوجيا فهي تتخذ من دراسة اللغة(وسيلة) لغايات كثيرة كما سبقت الإشارة. والغاية من هذه الجوانب كلها (فيما أرى) هي السيطرة على الإنسان من خلال التعرف على الميكانيزمات التي تحركه، وتتحكم فيه باعتبار الإنسان هو صانع الحضارة، ومحرك التاريخ.

والفيلولوجيا بالنظر إلى أنها تتخذ من اللغة وسيلة فهي من هذه الناحية تلتقي مع (فقه اللغة) عند العرب لكونها هي أيضا تسعى من خلال دراستها للغة إلى خدمة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بفهم نصوصها واستنباط الأحكام الشرعية منهما، إلى جانب اكتشاف الخصائص الأسلوبية الراقية فيهما لجعلها في النهاية نموذجا يقتدى به في التعبير.

- نظريات نشأة اللغة الإنسانية:

تعرضت اللغة التي يستعملها الإنسان في تواصله مع أفراد مجتمعه، ومنها اللغة العربية إلى عدد من التفسيرات في أصل نشأتها. وعرفت هذه التفسيرات بنظريات نشأة اللغة. وقد أولى البحث اللغوي العربي القديم عنايته بهذه القضية.
فابن فارس المتوفى سنة (395هـ) بدأ كتابه(الصاحبي)بالحديث عن أصل نشأتها، وخصها ابن جني المتوفى سنة(392هـ) في كتابه(الخصائص)بحديث حاول فيه أن يقدم تفسيرات لنشأتها وكذلك فعل السيوطي المتوفى سنة(911هـ)في كتابه(المزهر في علوم اللغة وأنواعها).وأهم هذه النظريات هي نظرية التوقيف،ونظرية الاصطلاح ونظرية المحاكاة،وسوف نتناول هذه النظريات الثلاث تباعا فيما يلي:

1- نظرية التوقيف:

هذه النظرية ترى أن اللغة نشأت عن طريق التوقيف أو الإلهام بمعنى أن الله تعالى هو الذي أوحى إلى آدم عليه السلام بهذه اللغة وذلك في قوله تعالى في سورة البقرة- آية 31:" وعلم آدم الأسماء كلها"وقد قال بهذه النظرية أحمد بن فارس في كتابه(الصاحبي) في باب خاص جاء عنوانه في شكل سؤال على هذا النحو:

باب القول على لغة العرب
أتوقيف أم اصطلاح؟

ثم أجاب عن السؤال بالقول: أقول إن لغة العرب توقيف. وهذه هي خلاصة ما ذهب إليه من أن الله تعالى هو الذي أوحى إلى عباده باللغة، ولا شأن للإنسان فيها. وقد اعتمد في هذا على عبد الله بن عباس المتوفى سنة (68هـ) في شرحه للآية الكريمة السابقة بقوله:
" فكان ابن عباس يقول: علمه الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل، وحمار، وأشياء من الأمم وغيرها".

2- نظرية الاصطلاح أو المواضعة:

يذهب بعض علماء اللغة في التراث العربي إلى أن الأصل في نشأة اللغة هو الاصطلاح وليس التوقيف كما رأينا عند أحمد بن فارس. وهذا الرأي يقول به ابن جني المتوفى سنة(392هـ) في كتابة (الخصائص) وجاء فيه:
هذا موضع محوج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة أنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي (وتوقيف) إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يوما: هي من عند الله، واحتج بقوله سبحانه:" وعلم آدم الأسماء كلها".
ويتضح لنا من هذا النص أن ابن جني يرى أن الأصل في نشأة اللغة هو الاصطلاح أي اتفاق الناس فيما بينهم عليها لتكون أداة للتواصل والتفاهم، وليس

أصلها الوحي أو التوقيف ولكن ابن جني عرض لرأي أستاذه أبي علي الفارسي الذي ذهب فيه إلى أن أصل اللغة وحي وتوقيف عندما أشار إلى الآية الكريمة السابقة: "وعلم آدم الأسماء كلها" مما يوحي لنا بأن رأي ابن جني يتعارض مع رأي أستاذه غير أنه سرعان ما استدرك بالإشارة إلى أن أستاذه كان يقول أيضا بالاصطلاح والمواضعة بقوله:

"وكان أبو علي رحمه الله أيضا قال به في بعض كلامه".

وهذا يشير إلى أن ابن جني كان يأخذ بنظرية المواضعة أو الاصطلاح ويميل إليها أكثر من القول بنظرية الإلهام أو الوحي.

3- نظرية المحاكاة:

يعتقد كثير من علماء اللغة أن الأصل في نشأة اللغة هو المحاكاة ويقصدون بها محاكاة المسموعات بأشكالها المختلفة في الطبيعة والحياة.ومن الذين يقولون بهذه النظرية في التراث العربي القديم، ابن جني(392هـ)، والثعالبي(ت429هـ).

فابن جني خصص لها حيزا من كتابه(الخصائص) عرض فيه رأي العلماء في هذه النظرية بدأه بقوله:" وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات" وقد ضرب أمثلة على هذه المحاكاة بذكر طائفة من الأصوات التي جاءت محاكاة للطبيعة سواء ما تعلق منها بأصوات الحيوانات التي تمثل الجانب الحي فيها أم بالأصوات الجامدة أو الميتة.

ففي الجانب المتعلق بالطبيعة الحية فقد ذكر منها ما يلي:

- الشحيج وهو صوت الحمار.
- النعيق وهو صوت الغراب.
- الصهيل وهو صوت الفرس.

أما الجانب الآخر الجامد فقد ذكر منها:

- الدوى هو صوت الريح.
- الحنين هو صوت الرعد.
- الخرير هو صوت الماء.

وقد جاء هذا في قوله:

"إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس...".

وبعد أن عرض هذه الأنواع من محاكاة الأصوات علق عليها بقوله:

"وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل".

ومعنى هذا أن ابن جني يوافق مذهب(البعض فيها)وهذا المذهب يتعارض مع رأيه القائل بنظرية المواضعة والاصطلاح حين وصفها بأنها تمثل الأكثرية بقوله:"إن أكثر أهل النظر...".

والواقع أن ابن جني ليس متناقضا في القول بالنظريتين؛ لأن نظرية المواضعة والاصطلاح تمثل الأغلبية عند علماء اللغة في مقابل القول بالوحي والتوقيف، أما

نظرية المحاكاة فهي تنسجم مع نظرية المواضعة والاصطلاح، بل إنها تكملها من حيث إن نظرية المحاكاة هي جزء من نظرية المواضعة والاصطلاح التي تمثل الكل. ومن ثم فهما يتكاملان ولا يتعارضان.
هذا هو رأي ابن جني في قوله بنظرية المحاكاة. أما رأي الثعالبي فلا يختلف عنه؛ لأنه يقول أيضا بهذه النظرية، ولكنه يختلف عنه في أنه لم يعرض وجهة نظره فيها كما عرضها ابن جني، وإنما اكتفى في كتابة(فقه اللغة و سر العربية) بعرض الأمثلة عليها وهي أكثر من أمثلة ابن جني فيها حيث اشتمل بعضها على أصوات الحيوانات كما فيما يلي:

- غاق وهو صوت الغراب.
- الطقطقة وهي صوت حوافر الخيل.
- حبطقطق وهو صوت جري الفرس.

كما اشتملت الأمثلة الأخرى على محاكاة الطبيعة العامة الجامدة مثل:
- الطاق وهو صوت الضرب.
- الدقدقة وهي صوت الدق.
- غِق وهو صوت غليان القدر.

ولا يقول ابن جني والثعالبي بهذه النظرية فقط، وإنما هناك بعض علماء اللغة من يشاطرهما الرأي فيها، ويضربون لها أمثلة بصوت الكلب(هَوَ هَوْ) وصوت الهرة(نَوْ نَوْ) إلى غير ذلك، ولكنها نظرية ضعيفة لا تلقى رواجا كبيرا لدى دارسي اللغة ولذلك قال عنها الدكتور عبد الصبور شاهين:
" ومن الممكن اعتبار هذا الجانب من الكلمات بداية معقولة النشأة، لولا أن عدده قليل في اللغات المختلفة، بحيث لا يكاد ينهض بتفسير هذه الظاهرة المعقدة".

الألــفاظ ودلالاتهـــا.

أ- أشكال العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها:

اللغة أصوات كما قال علماء اللغة والباحثون فيها منهم ابن جني في تراثنا اللغوي في القرن الرابع الهجري. وقد درس تحت هذا المفهوم كثير من قضاياها كما عولج فيها العديد من مسائلها وظواهرها منها ما عرف بعلاقة اللفظ بمدلوله بأشكاله المختلفة، وفيما يلي عرض لبعض هذه العلاقة:

1- العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها:

أدرك القدماء من اللغويين العرب العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها، وكانت لهم فيها وقفات تحليلية لغرض توضيحها وتأكيدها. ويعد الخليل بن أحمد (ت175هـ) واحدا من أبرز هؤلاء اللغويين العرب في مرحلة مبكرة من التأسيس للدراسات اللغوية، ثم توالت بعده محاولات جادة لبحث هذه العلاقة. وكانت محاولات ابن جني من أكثر هذه المحاولات نضجا. وهي تعد في الحقيقة امتدادا لجهود الخليل ولغيره، وقد أشار السيوطي (ت911هـ) إلى هذا بقوله:

" وقد عقد ابن جني في الخصائص بابا لمناسبة الألفاظ للمعاني وقال:

أعلم أن هذا موضح شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته". قال الخليل: كأنهم توهموا في الجندب استطالة ومدا فقالوا: (صر) وفي صوت البازي تقطيعا: فقالوا: (صرصر).

ويواصل شرح هذا الكلام بقوله:

" ويعني هذا أنه آلتفت إلى وجود صلة بين صوت الجندب والفعل الذي يدل عليه(صر). وبسبب تشابه صوت البازي وصوت الجندب مع وجود اختلاف في الكيفية، جاء الذي يصف صوت البازي مضعفا:(صرصر) ".

وقد مر عرض كثير من الأمثلة عن هذه العلاقة عند الحديث عن نظريات نشأة اللغة. ومما يمكن الاستدلال به على هذه العلاقة أيضا قولهـم: خضم، وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ، والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك.

2- العلاقة بين اللفظ ومدلوله في تكرار الصوت:

تعتبر العلاقة بين اللفظ ومدلوله في هذا الجانب شكلا من أشكال العلاقات المتعددة بين اللفظ ومدلوله. ولهذا يمكن اعتبارها امتدادا للأولى، ولكنها علاقة من نوع آخر حيث يظهر فيها تكرار بعض الأصوات في صيغة معينة. ولهذا التكرار دلالة ليست كغيرها من الدلالات التي يتكرر فيها هذا الصوت. وقد حظي هذا الجانب من البحث باهتمام علماء اللغة منهم ابن جني حيث قال:

" وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط: من ذلك: الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو: الزعزعة، والقلقلة والصلصلة (صوت الطين اليابس) و(القعقعة) (ترجيع الصوت). وقال مرة أخرى موضحا: من ذلك أنهم جعلوا تكرير العين يقصد عين(فعل) في المثال دليلا على تكرير الفعل، فقالوا: كسَّر، وقطَّع، وفتَّح

وغلَّق. فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما.

3- العلاقة بين اللفظ ومدلوله في الصيغة:
تتميز اللغة العربية بخصائص عديدة. من هذه الخصائص أنها لغة اشتقاقية. ومعنى هذا أن لكل صيغة اشتقاقية فيها دلالة معينة. وقد أولى علماء اللغة عنايتهم بهذه العلاقة في تراثنا اللغوي منذ أن بدأ البحث اللغوي في القرن الثاني الهجري كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها. ومن الأمثلة التي تتردد في كتب هؤلاء العلماء في العلاقة بين اللفظ وصيغته قولهم: (الفعلان) إنها تأتي، لتدل على الاضطراب والحركة نحو النقزان (الوثوب والصعود)والغليان والغثيان وما إلى ذلك، ولهذا قال سيبويه (ت180هـ):
" قابلوا بتوالي حركات الأمثال(يقصد الأبنية) توالي حركات الأفعال ".
إن هذه العلاقة ثابتة ومؤكدة ولا يخلو منها كتاب من كتب اللغة التي تدرس خصائص اللغة العربية، بل هناك كتب خاصة للبحث في هذه العلاقة، ومازال البحث فيها متواصلا لكونه من المباحث الهامة في تطور اللغة العربية من خلال خصائصها التعبيرية المتجددة.ومن البحوث الجديدة في هذا الجانب ذلك البحث القيم الذي حاول فيه صاحبه أن يثبت العلاقة بين الصيغ الصرفية ودلالاتها في القرآن الكريم وربطهما بالإعجاز القرآني وذلك في كتابه الذي يحمل عنوان: "الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم" للدكتور حسن هنداوي.

ب- أشكال العلاقة بين اللفظ ومدلوله:
لا تقتصر العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها على ما قدمناه سابقا، وإنما تمتد إلى ظواهر كثيرة لها ومن ظواهرها ما يلي :

1- المشترك اللفظي:
يعرف المشترك اللفظي بأنه اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر. ومن الأمثلة على ذلك لفظ العين الذي تناولته كتب القدماء. فهذا اللفظ يدل على معان عديدة كما جاء عند الأصمعي (ت216هـ) في كتابه الأجناس، منها:

1- العين: النقد من الدراهم والدنانير، ليس بعَرض.
2- العين: مطر أيام لا يقلع.
3- العين: عين الإنسان التي ينظر بها.
4- العين: عين البئر، وهو مخرج مائها.
5- العين:عين النفس،أن يعين الرجل الرجلَ ينظر إليه فيصيبه بعين إلى غير ذلك.

أما الأسباب الداعية إليه فهي كثيرة، وقد حاول السيوطي (ت911هـ) أن يحددها بقوله:

" اختلف الناس فيه، فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع إما من واضعين، بأن يضع أحدهما اللفظ لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى، ويشتهر ذلك بين الطائفتين في إفادته المعنيين، وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة كما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد سأله رجل عن النبي(صلعم) وقت ذهابها إلى الغار: من هذا؟ قال: هذا رجل يهديني السبيل".

ويفهم من هذا القول أن هناك سببين لهذه الظاهرة:

أ- الاختلاف بين الناس في وضع اللفظ للمعنى، سواء أكان ذلك من قبل أفراد أم جماعات كما هو الحال بين لغات القبائل العربية المتباعدة عن بعضها.

ب- التمويه لدفع الضرر، مثل استعمال كلمة السبيل بمعنى الطريق أو الدين والإيمان بالرسالة التي جاء بها الرسول (صلعم).

وهناك أسباب عديدة أخرى يضيق المقام لعرضها هنا.

2- الترادف:

عرفه القدماء من اللغويين، بأنه الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد أو هو الدلالة بأكثر من لفظ على معنى واحد كالسيف والصارم فإنهما دلا على شيء واحد". هذا هو مفهوم الترادف، وهو ظاهرة شائعة في اللغة العربية. وقد عالجه القدماء في كثير من كتبهم. ولكنهم انقسموا حوله إلى فريقين:

- الفريق الأول يعترف بهذه الظاهرة، ويراها ماثلة في اللغة، ولا سبيل إلى إنكارها، والأمثلة على ذلك عديدة منها السيف الذي له العديد من الأسماء، مثل الصارم والحسام والمهند والقاطع إلى غير ذلك. ومن الكتب الهامة التي بحثت هذه الظاهرة كتاب حديث بعنوان: الترادف في اللغة لصاحبه: حاكم مالك لعيبي.

- الفريق الثاني يعترض على هذه الظاهرة ويقدم أدلته من واقع الأسماء التي قدمت للسيف على أنها صفات له أو اتحادها في الدلالة على الذات التي هي السيف.

وقد عرض السيوطي في كتابه المزهر في علوم اللغة وأنواعها وجهات النظر المختلفة من هذه الظاهرة بقوله:

" قال العلامة بن جماعة في شرح جمع الجوامع: حكي الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال كنت: بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحدا، وهو السيف. قال ابن خالويه: أين المهند، والصارم وكذا وكذا؟ قال أبو علي: هذه صفات.وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة ".

لقد عرف العرب هذه الظاهرة،وتعاملوا معها على أنها واقع سواء أكـــان ذلك على سبيل أنها صفات لشيء واحد أم على أنها أسماء وليست صفات، وكانت مثار

خلاف فيما بينهم كما أشار السيوطي، وإلى الآن مـــا زال النقاش فيهـــا متواصلا بين الدارسين للغة شأنها في ذلك شأن أي قضية لغوية مثيرة للخلاف باعتبارها شأنا من شؤون البحث في قضايا اللغة، وظواهرها التعبيرية.

على أنه مهما كان هذا الخلاف بين المؤيدين والمعارضين لها وفيما إذا كانت لها سلبيات أو ايجابيات، فإنها تبقى ظاهرة لغوية موجودة في اللغة العربية ولا نريد الخوض في تفاصيلها هنا لضيق المقام لننتقل إلى ظاهرة أخرى وهي التضاد .

3- التضاد:

يقصد بالتضاد في الاصطلاح اللغوي القديم، استخدام اللفظ بمعنيين متضادين أو التعبير بلفظ واحد عن معنيين متضادين مثال على ذلك كلمة (الجوْن) فهي تطلق على الأسود والأبيض، وكذلك لفظ (الجلل)فهو يطلق على العظيم، والحقير وفي مثل هذا أيضا لفظ (الساحر) فهو يطلق على ما هو مذموم، وسيء، وللحقير، ويستدل على هذا بقوله تعالى في سورة الزخرف (49):

" وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك".

" أراد يا أيها العالم الفاضل؛ لأنهم لا يخاطبونه بالذم والعيب في حالة حاجتهم إلى دعائه لهم، واستفادة إياهم من العذاب والهلكة ".

هذه نماذج مما ورد عند القدماء في معالجتهم هذه القضية أو الظاهرة وهي مثل غيرها من الظواهر التي كان لها أنصار كما كان لها معارضون وقد أشار بعضهم إلى هذا الخلاف عند الدارسين بقوله:

" وقد كانت الأضداد ومازالت بهذا المعنى مرادا للقول عند الباحثين، وموضعا للجدل عند العلماء والدارسين، فمنهم من قال بإمكان وقوعها وعد وضعها في مألوف القوانين اللغوية والمواضعات الاصطلاحية، وذلك لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية، وذكروا من عللها وأسبابها وشواهدها الشيء الكثير، من هؤلاء الأصمعي (ت 216هـ) وأبو عبيدة (ت213هـ)السجستاني (ت255هـ) وابن السكيت(ت244هـ) وقطرب(ت206هـ) وابن الأنباري (ت328هـ) كما يبدو ذلك واضحا من مصنفاتهم وآرائهم المنتثرة في كتب اللغة والأدب.

" ومنهم من أنكر هذه الأضداد إنكارا عنيفا وأبطلها إبطالا تاما، وتأول مـا ورد منها في اللغة ونصوص العربية، وأشهر من أعلن هذا الرأي ابن درستويه (ت347هـ) فإنه ألف كتابا أسماه (إبطال الأضداد) وذهب إلى جحد الأضداد جميعها ".

والجدل في هذه القضية لم يقتصر على القدماء وإنما امتد إلى المعاصرين أو إلى دارسي اللغة اليوم ولا يخلو كتاب من كتب اللغة ذات الاهتمام بالحديث عن خصائص اللغة العربية، من التعرض لها ومحاولة مناقشتها بالإثبات أو النفي لها.

ومن المؤيدين لها(محمد نور الدين المنجد) حيث خصص لهذه القضية كتابا بعنوان: الأضداد في القرآن الكريم.

ومهما كان هذا الخلاف في القديم والحديث وما أدى إليه من نتائج، فإن الاهتمام بها يدل على أنها مثل سائر القضايا اللغوية التي عرضنا لها فهي تجد من يؤيدها، كما تجد من يعارضها. ولا شك في أن هذا النقاش يثري البحث اللغوي، ويوضح أمورا كثيرة، وإن كان لا ينفي وجودها في عرف الاستخدام اللغوي لأنه هو المعول عليه في هذه القضية، ونقصد بهذا أن الدراسات السياقية للنصوص هي التي تكون المنطلق لهذه القضية بالنفي أو الإثبات.

الاشتقاق

مفهومه وأنواعه:

للغة العربية خصائص كثيرة تتميز بها.ومن هذه الخصائص ما يعرف فيها بالاشتقاق:

والسؤال هنا ما هو هذا الاشتقاق؟

ثم ما هي أنواعه؟ وما هي الكيفية التي يتم بها؟.

مفهوم الاشتقاق:هو أن تنزع كلمة من كلمة أخرى،على أن يكون ثم تناسب بينهما في اللفظ والمعنى.فمن مصدر السمع مثلا يشتق الفعل الماضي(سمع)واسم الفاعل(سامع) واسم المفعول(مسموع) إلى آخره. وتكون جميع هذه المشتقات، مثقفة في حروفها الأصلية، وفي ترتيب تلك الحروف، وفي المعني الأصلي للمصدر وهو السمع. واختلافها إنما هو في الصيغة فقط أي في صيغة الفعل الماضي، وصيغة اسم الفاعل، وصيغة اسم المفعول إلى آخر ما هنالك من صيغ كالتي تدل على الفعل المضارع وعلى اسم الزمان والمكان والمبالغة وأمثال ذلك.
فهذا النوع من الاشتقاق يسمى الاشتقاق الصغير.

أما إذا كان بين الكلمة الأصلية والكلمة المشتقة في اللفظ والمعنى دون ترتيب في الأحرف، فهذا النوع من الاشتقاق يسمى الاشتقاق الكبير والاشتقاق بالقلب ومعناه تقديم بعض أحرف الكلمة الواحدة على بعض مثل: جذب وجَبَذَ، ففيهما نرى الأحرف في كل من الفعل الأصلي والفعل المشتق واحدة، ونرى المعنى فيهما واحدا أو مقاربا، ولكن ترتيب الأحرف قد اختلف. وعلى هذا نقول: إن جبذ مشتق بالقلب من جذب(لأن جذب أكثر تداولا وشيوعا من جبذ) وهكذا نقول في عدد كبير من الألفاظ التي اشتقت بالقلب، أي بتغيير مواقع الحروف.
وثمة نوع ثالث من الاشتقاق يسمى الاشتقاق الأكبر أو الإبدال وهو انتزاع لفظ من لفظ مع تناسب بينهما في المعنى والمخرج، واختلاف في بعض الأحرف، نحو عنوان الرسالة و علوانها. ففي الثانية أبدلت اللام من نون الأولى. ويقولون إن النون واللام متناسبتان في المخرج، فكلتاهما من أحرف الذلاقة أي أحرف طرف اللسان والشفة.

والخلاصة إن الاشتقاق خاصية هامة من خصائص اللغة العربية ولهذه الخاصية علاقة بنمو اللغة، وتكاثرها،وتعدد معانيها وهي إمكانية في يد الكاتب أو المبدع،ليعبر عن معانية، وأفكاره بسهولة.
ويعود الفضل في التنبه إليه إلى ابن جني(ت392هـ)،وقد تحدث عنه في كتابه الخصائص، ومنه نقتطف لكم هذا النص الموجز:

هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا،غير أن أبا علي- رحمه الله- كان يستعين به،ويخلد إليه،مع إعواز الاشتقاق الأصغر.لكنه مع هذا لم يسمه،وإنما كان يعتاده

عند الضرورة،ويستروح إليه ويتعلل به،وإنما هذا التقليب لنا نحن.وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين:كبير وصغير.فالصغير ما في الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلا من الأصول فَتَتَقَرَّاه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه.وذلك كتركيب(س ل م) فإنك تأخذ معنى السلامة في تصرفه؛نحو سلم،ويسلم،وسلمان،وسلمى السلامة والسليم:اللديغ، أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة.

وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا ،تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف منها من كل واحد منها عليه،وإن تباعد شئ من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد" جـ2 ص135.136.

- المعرَّب:

1-مفهومه:

يقصد بالمعرب ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها. هذا هو التعريف الذي شاع بين القدماء، وقد ذكره السيوطي في كتابه الشهير: (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) أما في عصرنا الحالي فيعرف بالاقتراض أو الاقتباس أو الاستعارة.

وحسب التعريف الذي ذكره السيوطي فإن المعرب يعد ظاهرة لغوية مستمدة في الأصل من حضارات الشعوب الأجنبية اقتضته الضرورة أو الحاجة إلى التجديد والتنويع والتلوين فدخل اللغة العربية وصار من مفرداتها ومن حصيلتها المعجمية، ولكنه لا يسمى معربا إلا بعد أن تدخل عليه تعديلات أو تغييرات ليتناسب مع أنظمتها الصوتية والصرفية ليسهل الاشتقاق من هو من الأمثلة التي يذكرها القدماء لهذا المعرب:

1- طه سريانية.
2-الطور سريانية.
3- الربانيون سريانية.
4- الصراط رومية.
5- القسطاس رومية.
6- الفردوس رومية.
7- المشكاة حبشية.

وغيرها ومن الملاحظ أن هذه الكلمات قد جاءت في القرآن الكريم. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل يصح أن يقال إن في القرآن الكريم كلمات أعجمية مع القول في الآن نفسه إنه قرآن عربي مبين فكيف يمكن التوفيق بين الأمرين أو الرأيين المتناقضين؟.

2- ما هي مواقف علماء اللغة من المعرب؟:

في الإجابة عن هذا السؤال نجد علماء اللغة ينقسمون إلى فريقين بين موافق على وجود كلمات أجنبية في القرآن الكريم، ومعارض لها، ومن الموافقين على وجود هذه الظاهرة في القرآن قول أحدهم: وزعم أهل العربية أن القرآن الكريم ليس فيه من كلام العجم شيء لقوله تعالى:" إن جعلناه قرآنا عربيا"الزخرف (3) .وقوله كذلك "بلسان عربي مبين"الشعراء(195).

وحين اشتد الخلاف بين الفريقين وجد من حاول أن يقدم تفسيرا توفيقيا لهذا الخلاف ومن هؤلاء أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت213هـ) في القرن الثاني الهجري بقوله:

" والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا؛ ذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها

وحولتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق؛ ومن قال أعجمية فهو صادق".

وإلى جانب هذا الرأي التوفيقي بين الرأيين، نجد رأيا آخر لا يخالف رأي أبي عبيدة ولكنه يحاول أن يبين بعض الفروق بين كلمات أخضعها العرب لكلامهم، وينطبق عليها المفهوم السابق للمعرب. أما ما بقي من الكلمات التي لم تدخل عليها تلك التعديلات فقد كانت متوافقة مع كلام العرب، وهي في هذه الحالة ليست في حاجة إلى إدخال التعديلات عليها،وصاحب هذا التفريق بين الكلمات هو أبو حيان بقوله:

- الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام:
- قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها فحكم أبنيته في اعتبار الأصل، والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع: نحو: دِرْهم، وبَهْرَج.
- وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو: آجُر، وسِفْسِير.
- وقسم تركوه غير مغير، فلم يلحقوه بأبنية كلامهم ولم يعد منها، وما ألحقوه بها عُدَّ منها مثال الأول: خُراسان ولا يُثبتُ به فُعَالاَن.

3- أشهر من كتب في المعرب:
وأشهر من القدماء من كتب في المعرب هو: أبو منصور الجواليقي(ت540 هـ)حيث خصه بكتاب اسماه: (المعرب من الكلام الأعجمي) وقد نوه به السيوطي بقوله: " وقد ألف في هذا النوع الإمام أبو منصور الجواليقي كتابه: (المعرب في مجلد)، وهو حسن ومفيد".